المحاضرة التاسعة:

المعاينة أو اختيار عينة الدراسة

في أغلب الأحيان يجد الباحث في العلوم الاجتماعية نفسه في حاجة ماسة إلى القيام بالمعاينة. والأمر يتعلق بعملية إحصائية، الغرض منها إختيار مجموعة جزئية (تسمى العينة) من المجتمع الكلي المستهدف بالدراسة. تعدّ هذه العملية في الحقيقة مجرد إجراء منهجي يلجأ إليه الباحث عادة عندما لا يكون في وسعه الإحاطة بكافة وحدات أو عناصر هذا المجتمع بالدراسة والبحث. لهذا السبب يمكننا اعتبار عملية المعاينة أو اختيار العينة إجراء استثنائي في الأصل أصبح قاعدة في بحوث العلوم الاجتماعية، بالنظر إلى أن هذه الأخيرة تتناول في غالب الأحيان إن لم نقل دوما الفئات أو المجموعات الاجتماعية الواسعة في المجتمع. وهذا ما يطرح غالبا صعوبة أو عدم إمكانية توسيع دائرة الاهتمام بالبحث لتشمل كافة عناصر ووحدات هذه الفئات. سواء كان ذلك راجعا إلى عدم كفاية الإمكانيات المادية أو راجعا إلى ضيق الوقت أو غيرها من الأسباب. من هذا المنطلق أصبح من الضروري على الباحث أن يختار مجموعة جزئية (عينة) من ضمن المجموع العام للفئة أو الجماعة المستهدفة بالبحث والتي يطلق عليها اسم مجتمع البحث. على أن تتوفر في وحدات وعناصر هذه المجموعة الجزئية كافة السمات والخصائص الغالبة على كافة وحدات مجتمع البحث. بعبارة أخرى ينبغي أن تكون عينة البحث ممثلة إلى درجة مقبولة لمجتمع البحث، الأمر مما يسمح في الأخير بتعميم نتائج البحث على هذا الأخير. ومن أجل ذلك وضعت قواعد منهجية وضوابط إجرائية .

مراحل وخطوات المعاينة: يتم هذا الاجراء المنهجي عبر ثلاثة خطوات:

أولا: تعريف مجتمع البحث. وهو الفئة أو المجموعة الكلية من الوحدات أو الأفراد أو العناصر التي يستهدفها البحث ويرغب الباحث في أن يعمم عليها نتائج البحث. وتسمى أيضا بمجتمع الأم بالنسبة للعينة. فلو أخذنا مثلا دراسة في علم الاجتماع التربوي يتناول صاحبها معدل استجابة الطلاب الثانويين مع تقنيات تعليم جديدة. فمجتمع البحث دون شك سوف يكون مجموع الطلاب الثانويين المعنيين بهذه التقنيات بدون استثناء. وضمن دراسة في علم الاجتماع الانحراف والجريمة، يريد صاحبها أن يتعرف على تمثلات التنشئة الاجتماعية لدى الأمهات العازبات. يفترض من الباحث أن ينطلق من فكرة أن كل الأمهات العازبات بدون استثناء (مجتمع البحث) ينبغي أن يخضعن للبحث إن تسنى له ذلك.

ثانيا: اختيار إطار المعاينة. يتمثل إطار المعاينة في القوائم التي تضم أسماء بوحدات أو عناصر من مجتمع البحث يمكن للباحث الحصول عليها من أجل استخراج عينة البحث. فإطار المعاينة في دراسة تتناول معدل استجابة الطلاب الثانويين مع تقنيات تعليم جديدة، قد تكون مثلا، قوائم بأسماء طلبة مؤسسة أو مؤسستين أو ثلاث مؤسسات ثانوية أدخلت فيها هذه التقنيات الجديدة في التعليم.

ثالثا: اختيار العينة الخطوة الأخيرة ضمن عملية المعاينة تتمثل في استخراج مجموعة جزئية من ضمن الاطار. وهناك أسلوبين متعارف عليهما يتم من خلالهما الوصول إلى العينة. أسلوب المعاينة الاحتمالية (المعاينة العشوائية) وأسلوب المعاينة غير الاحتمالية .

المعاينة الاحتمالية: وهي المعاينة التي تتم وفقا لقواعد ومبادئ الإحصاء ويجعل كل وحدة من وحدات الإطار الذي تستخرج منع العينة تحظى بفرصة واحد على الأقل كي تكون ضمن العينة.

- المعاينة العشوائية البسيطة:
- المعاينة العشوائية المنتظمة:
- المعاينة الطبقية:
- المعاينة التصنيفية

- المعاينة المتعددة المراحل

المعاينة غير الاحتمالية: وهي المعاينة التي يكون لدى العديد من وحدات الإطار العام صفر فرصة للاختيار ضمن العينة. وفي العادة يمكن أن يتم الاختيار وفقا للمعايير غير العشوائية. مثل معايير الحصص أو معايير الملاءمة. الأمر الذي يجعلها معرضة لأخطاء التقدير والتحيز. وبالتالي عدم إمكانية تعميم النتائج المتوصّل اليها على المجتمع ككل.

وضمن هذا الصنف من المعاينة نجد:

- المعاينة العرضية
- المعاينة بالحصص
- معاينة الخبراء
- معاينة كرة الثلج:

سؤال تطبيقي:

ما نوع العينة التي يمكنك استخراجها في حالة مشكلة تتناول لماذا ينخرط بعض المراهقين في عصابات الشوارع؟

المحاضرة العاشرة

الاتجاه الكمي والكيفي في البحث

بعد الإنتهاء من المرحلتين الأولى والثانية المتعلقتين على التوالي بالبناء النظري والبناء المنهجي لموضوع البحث، أي تفكير "ماذا؟". ينبغي على الباحث أن يمر إلى المرحلة الثالثة والأخيرة، أين يركز اهتمامه على "كيف؟". بمعنى ماهي الطرق والأساليب والمناهج التي من شأنها أن تقدم الإجابة العلمية على السؤال المطروح وتمكن الباحث من بلوغ الهدف الذي وضعه في بداية المسعى. في هذا السياق يجب أن نذكّر أن هناك الكثير من الطرق والأساليب العلمية والمناهج والتقنيات التي تستخدم في جمع المعطيات الميدانية. وأنّ الاختيار من بين هذه الطرق والأساليب الأكثر نجاعة وملاءمة، يتوقف على نوع المعطيات أو البيانات التي ينبغي جمعها. وهذه الأخيرة بدورها تتحدّد في ضوء السؤال بالدرجة الأولى ثم الفرضيات أو الهدف من البحث بالدرجة الثانية. وعندما نضع هذه الاعتبارات نصب أعيننا كباحثين، غالبا ما نجد أنفسنا أمام خيارين كبيرين: المناهج والطرق الكمية في مقابل المناهج والطرق الكيفية.

وحتى نقف على أهم الفروق بين الاتجاهين لا بأس أن نستعرض أهم ملامحهما ضمن الجدول التالي[1]:

الاتجاه الكمي	**الاتجاه الكيفي**
يفترض أن العالم الاجتماعي واقعي موضوعي متأثر بالوضعية	**تأويلي: يفترض أن الواقع عبارة عن تصور اجتماعي.**
تتخذ تساؤلات البحث شكل فلروض قابلة للإختبار.	**يتم تطوير أسئلة البحث باستخدام بعض الأسئلة المساعدة.**

1 بوب ماتيوس ليزاروس، الدليل العملي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، تر،محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2016، ص.307

يمكن الإجابة على تساؤلات البحث أو فرضياته عن طريق عد الأحداث والوقائع (قياس التكرار)، مستعينا بالتحليل الاحصائي.	**يمكن الإجابة عن سؤال البحث عن طريق وصف وتفسير الأحداث وجمع آراء المبحوثين ومعتقداتهم وخبراتهم.**
يعرف الباحث عادة ما يبحث عنه ويريد دراسته	**قد لا يكون لدى الباحث سوى فكرة عامة حول ما يريد بحثه.**
تتحدد خطة أو استراتيجية البحث في العادة قبل جمع المعطيات.	**تتسم خطة أو استراتيجية البحث بالسيولة والقابلية للتطوير**
موضوعي: بمعنى أنّ الباحث ليس جزءا من الموضوع.	**ذاتي: بمعنى أن الباحث مندمج في الموقف المدروس بوصفه انسانا.**
غالبا ما تستخدم أدوات لجمع البيانات: كالمسوح أو الاستبيانات.	**يمكن القول أن الباحث هو الأداة الرئيسية في جمع البيانات والفاعل الأول في بناءها**
يتم عرض المعطيات أو البيانات عادة في قالب عددي أو رموز دالة.	**يمكن أن تتخد البيانات شتى القوالب والأشكال.**
إمكانية التعميم من واقع البيانات.	**لا يمكن عادة تعميم نتائج البيانات.**

أشرنا في الفقرة السابقة أن الاختيار بين الاتجاهين يتوقف على طبيعة ونوع البيانات التي نحتاجها وهذا مرتبط بالسؤال ومضمون الفرضيات واتجاهاتها. إلاّ أن الباحثين اليوم ينزعون نحو المزاوجة بين الاتجاهين (الاتجاه المختلط)، وهي الطريقة التي من شأنها أن تستجيب أكثر لمتطلبات البحث.

تصميمات البحث:

تتطلب عملية تصميم البحث العودة إلى تساؤلات البحث والتفكير فيما تأمل فعله بالبيانات التي ستجمعها للإجابة على هذه التساؤلات. ومهما كانت الأسئلة والفرضيات التي قمت بصياغتها كإجابات مؤقتة عنها. فإنّ البيانات التي تجمعها، سوف تساعدك على اختيار التصميم الأنسب للبحث من ضمن أربع تصاميم:

- **التجريبي،**
- **المسحي المقارن،**
- **التتبعي**
- **ودراسة الحالة.**

تتناسب مع الطريقتين الكمية والكيفية طرق أو بالأحرى تقنيات جمع البيانات. بحيث كل طريقة تملي تقنيات خاصة تتلاءم مع طبيعة البيانات التي ينبغي جمعها. وهو ما سنحاول عرضه في الجدول الموالي:[2]

الاتجاه	**تقنيات جمع المعطيات في الميدان**

[2] نفس المرجع، ص. 317

الكمي	**المسوح والاستبيانات التي توجه نفس الأسئلة عادة لأعداد كبيرة من الأفراد أو الوحدات.**
	توفر البيانات الكمية الثانوية التي ستجرى عليها التحليلات الاحصائية
	تحليل المضمون: حساب عدد تكرار فئات الكلمات أو الأفكار الواردة ضمن مادة مكتوبة أو منطوقة
	الملاحظة: حساب عدد حدوث وقائع معينة.
	سجلات أو استمارات لكل حالة تتضمن معلومات مقننة مسبقا.
الكيفي	**مقابلات غير مقننة أو شبه مقننة: تسمح للمبحوثين بالإجابة عن الأسئلة بحرية وبأسلوب خاص.**
	الجماعة البؤرية أو جماعة المناقشة المركزة: حوار أومناقشة شبه مقننة يتولى إدارتها شخص مع القليل من الأفراد.
	جمع وثائق تتعلق بأسئلة البحث وطرح أسئلة انطلاقا من تلك الوثائق.
	السرد: جمع القصص والروايات التي يحكيها الناس.
	الملاحظة المشاركة أو غير المشاركة لموقف أو سياق اجتماعي معين.

على الرغم من أن اختيار طرق وتقنيات جمع المعطيات، كما قلنا تتوقف على طبيعة ونوع هذه الأخيرة، في ضوء السؤال والفرضيات. إلا أنّ هذا يبقى مبدأ نظريا، أو ما يجب أن يكون. إذ هناك اعتبارات متعلقة بالموارد المحدودة، غالبا ما تضطر الباحثين إلى خيارات برغماتية. فإذا كنت طالبا تبحث في إطار انجاز مذكرة تخرج فسيكون عليك اختيار طريقة وتقنية جمع المعطيات في ضوء امكانياتك ومواردك المتاحة. خصوصا الوقت والمال، وما تتمتع به من مهارات وقدرات في الوصول إلى مصادر المعطيات.

سؤال تطبيقي:

ما هو التصميم الأنسب لبحث ومعالجة سؤال: لماذا ينخرط بعض المراهقين في عصابات الشوارع؟